الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فما أحوجنا ولا سيما في مثل هذا الزمان إلى الاستغناء بالقرآن وأن نفقه هذا الأمر العظيم، الزمان الذي عكف فيه كثير من الناس وانحنت فيه كثير من الرؤوس وشُغفت كثير من القلوب وكبّت كثير من الأبصار على أجهزة الجوال، وأدمنت النظر فيها نظرًا أثّر في كثير من الناس تأثيرات ليست بنافعة بل ضارة من حين الدين والخلق والسلوك، ومن حيث الصحة والعافية، وهذأ حقيقةً من الأمور التي يتألم لوجودها كثير من الغيورين والناصحين والمشفقين، لأن هذا الأمر سَرى في كثير من الناس ولم يصبح لهذا القرآن من حياتهم نصيب أو أصبح له النصيب القليل، لكنه في آناء الليل وأطراف النهار وجلّ أوقاته راميًا ببصره على هذا الجوال ينظر فيه نظرا من بعد نظر، وتأملا من بعد تأمّل، ويدخل من خلاله في متاهات، لأنه حينما يرمي ببصره على هذا الجوال ينظر فيه لا يزال يُدخله من متاهة إلى أخرى. وكم كاد الشيطان للعباد من خلال هذا الجوال.

محاسن الجوال أو منافعه لا حاجة للكلام عليها، لكن الكلام على المصائب العظيمة التي انجرت إلى كثير من الناس ذكورا وإناثا، صغارا وكبارًا، في أمور مؤلمة حتى إن بعض الناس شغله هذا الجوال عن الفريضة يُنادى إلى الصلاة؛ حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح ويبقى مع جهاز الجوال مُكبّا ينظر إليه إلى أن تخرج الصلاة. فريضة الله قائمة في بيوت الله يُنادى إليها ثم تقام ثم يصلي الناس وعينه على الجوال لا ترتفع منه ونظره لا يرتفع منه.

وإذا كانت الفريضة ضُيِّعت فما سواها يُضَيَّع من باب أولى، فما أحوجنا في هذا الزمان وكثرة هذه الملهيات وبخاصة هذا الجوال إلى أن نعرف قدر القرآن ومكانته ومنزلة القرآن العظيمة حتى نعظّم القرآن ونُعنى به ويكون له من حياتنا النصيب الأوفر، ولو أن هذا الإكباب على الجوال نظرا إليه كان نظرا إلى القرآن كيف كانت حياتنا ؟ نعم لو كان هذا النظر والاكباب على الجوال الذي هو حال كثير من الناس، لو كان بدل ذلك نظرًا الى القرآن وتأملًا في القرآن وتدبرا في القرآن لكانت حياتنا من أطيب ما يكون زكاةً وصلاحًا واستقامةً وهدايةً.

لكننا استبدلنا الذي هو أدنى بالذي هو خير وضيعنا وفرّطنا وقصّرنا وأهملنا، ولهذا هذه الرسالة تُعدّ موقظة بإذن الله سبحانه وتعالى، فنسأل الله الذي يسر لنا قراءتها والجلوس للإفادة منها أن ينفعنا بها وأن يجعلها حجة لنا لا علينا لمنه وكرمه. نعم...

[أحسن الله إليكم.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

" الثالث: عن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن أمتك مختلفة بعدك. فقلت: فأين المخرج يا جبريل ؟ قال: كتاب الله، به يقسم الله كل جبّار، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك، قولٌ فصل وليس بالهزل، لا تختلقه الألسن ولا تفنى عجائبه، فيه نبأُ من كان قبلكم وفصل ما بينكم وخبرُ ما هو كائن بعدكم." رواه أحمد. "]

شرح الشيخ :

هذا الحديث الثالث في هذا الفصل أي الفصل في بيان أن العلم كله في القرآن.

أورد هذا الحديث عن علي رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ولكنه حديث ضعيف الإسناد وغير ثابت عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

قال علي: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن أمتك مختلفة بعدك. فقلت: فأين المخرج يا جبريل ؟ قال: كتاب الله " أي هو المخرج و هو النجاة، " به يقسم الله كل جبّار، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك، قول فصل و ليس بالهزل، لا تختلقه الألسن " أي لا يَخْلَق مع كثرة الردّ كما سيأتي في الذي بعده " ولا تفنى عجائبه " أي لا تنقضي عجائبه " فيه نبأ من كان قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما هو كائن بعدكم ".

فالحديث ضعيف الإسناد لكن في هذا الباب؛ باب المخرج من الفتن يُغني عنه ما جاء في السنن؛ حديث العرباض بن سارية قال عليه الصلاة والسلام: " إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا "؛ مثل ما جاء هنا؛ قال " إن أمتك مختلفة بعدك "، قال " اختلافا كثيرا "، فكأنه قيل: ما المخرج ؟ فأجاب دون أن يُسْأل، وهذا من كمال نصحه عليه الصلاة والسلام، " إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا " كأنه قيل له: ما المخرج ؟ قال " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنّواجذ، وإياكم و محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة. " نعم...

[قال رحمه الله تعالى:

" الرابع: عن علي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ألا إنها ستكون فتنة ". فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال: " كتاب الله وحبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، من ابتغى الهدى – أو قال العلم – في غيره أضله الله، ومن تركه من جبار قصمه الله، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا يخلق عن كثرة الرد، وهو الذي لم تنتهِ الجن إذ سمعته حتى قالوا { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ }، من قال به صدق، ومن عمل به أُجِر، و من حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم. " رواه الترمذي.

ومعنى حبل الله: سببه الموصل إليه.

ولا يخْلق: بفتح الياء وضم اللام وفتحها. "]

شرح الشيخ :

ثم ختم رحمه الله هذا الفصل بهذا الحديث عن علي رضي الله عنه، وهو كالذي قبله؛ ضعيف الإسناد لأن فيه وفي الذي قبله الحارث بن عبد الله بن الأعور فيه مقال، فالحديث غير ثابت عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

لكن هذه الصفات التي ذُكرت للقرآن كلها صفات صحيحة، كلها صفات صحيحة، لا ريب في صحتها واستقامتها، فذكر في صفات القرآن أنه حبل الله المتين، ووُصف بهذا الوصف؛ بأنه حبل الله لأن الحبل هو ما يتوصل به إلى الشيء، ولهذا قال في شرحه " حبل الله سببه الموصل إليه " **{ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ }**؛ حبل. فحبل الله أي ما يُتوصل به إلى الفوز برضوان الله سبحانه وتعالى لأنه لا يوصل إلى الله إلا هذا القرآن.

ووصفه بأنه الذكر الحكيم هذا جاء في قول الله سبحانه وتعالى **{ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ }**، فالقرآن ذكر لأنه مُذكِّر وفيه الذكرى لمن انتفع به وتمسك به. والحكيم: لأنه المحكم المتضمن للحكمة البالغة.

ووصفه بأنه الصراط المستقيم مثل ما في الآية **{ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ }** والمستقيم: أي الذي لا عوج فيه، الذي يوصل إلى رضوان الله وجنته وكرامته سبحانه وتعالى.

وقوله " من ابتغى الهدى – أو قال العلم – في غيره أضله الله ومن تركه من جبّار قصمه الله " يقول ابن تيمية رحمه الله في كتابه الاستقامة: " هذا يناسب قول الله تعالى **{ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ }** وكذلك قوله تعالى **{ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ }**، فذكر ضلال الأوّل وتجبُّر الثاني. "؛ فذكر ضلال الأوّل

في قوله { **يُضِلُّ اللَّهُ** } وتجبُّر الثاني { **مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** } " وذلك لأن الأول مُرتابٌ ففاته العلم حيث ابتغى الهدى في غيره، والثاني جبّار عمل بخلاف ما فيه فقصمه الله. " قال " وهذان الوصفان يجمعان العلم والعمل، وفي ذلك بيان أن كل علم ودين لا يطلب من القرآن فهو ضلال ".

وقوله " وهو الذي لا تزيغ به الأهواء " أي لا تميل عن الحق به، والمراد " به " أي باتباعه ولزومه والتمسك به، وإنما يحصل لها الزيغ باتباع المتشابه وترك المحكم وترك الأحاديث النبوية المأثورة عن نبينا عليه الصلاة والسلام المبيّنة لمعناه.

وقوله " ولا يشبع منه العلماء " لأنه كلما نظر فيه تجددت له من المعاني والهدايات والبركة؛ بركة القرآن العظيم { **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ** } فكلما نظر فيه ازدادت هذه الهدايات وبركات القرآن فلا يشبع منه ولا يشبع من قراءته.

وقوله " ولا تلتبس به الألسن " أي لا يتعسر عليها، ولا تتعسر ألسن المؤمنين ولو كانوا من غير العرب { **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ** }.

و قوله " لا يخلق عن كثرة الرد " أي لا يبلى، بل باقٍ على جدته وإن أكثر الإنسان من قراءته، فجِدَّته باقية؛ لا يبلى أي باقٍ على جِدته، أرأيتم لو أن الانسان أعجبته قصيدة؛ جزلى في معانيها وألفاظها وفصاحتها وقوتها، وقرأها مرة ثم قرأها ثانية ثم قرأها ثالثة ثم قراها رابعة ثم خامسة، لا بد أن يأتي عليه ويمل منها، ولو أنه أيضا قرأ خطبة أو كلاما لأحد من الناس مرة أو مرتين أو ثلاث لملّ منه، أما هذا الكتاب العظيم لا يخلق مع كثرة الردّ أي باقٍ على جِدَّته ولا يمل الإنسان؛ لا يحدث له ملل مهما قرأ وكرر، لا يخلق مع كثرة الرد لأنه لا يزال في جدة و بقاءٍ على جِدته.

وقوله " وهو الذي لم تنتهِ الجن إذ سمعته حتى قالوا { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ } " هذا فيه أن القرآن كله عجب وآياته كلها عجب لأنها خارجة عن قدرة البشر.

" من قال به صدق " لأنه أصدق القول { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا }.

" ومن عمل به أُجر " أي أثابه الله سبحانه وتعالى عظيم الثواب.

" ومن حكم به عدل " أي لا يقع في خلاف العدل ولا يقع في الظلم من حكم بالقرآن. " ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم "

الحاصل أن طريق النجاة من صنوف الفتن بالتمسك بكتاب الله و سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

والحديث وكذلك الذي قبله لا يثبتان عن نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وأما الصفات التي ذكرت فيه للقرآن فكلها صفات صحيحة من حيث المعنى لا من حيث الثبوت. نعم...

[قال المصنف رحمه الله تعالى:

" فصل في ذكر أن القرآن اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من كتب الله السالفة:

وفيه خمسة أحاديث:

الأول: عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أعطيت مكان التوراة السبع الطّوال، أعطيت مكان الانجيل المثاني أو قال المئين، وأعطيت مكان الزبور المئين أو قال المثاني، و فضلت بالمفصل. " رواه أحمد.

والطوال بضم الطاء جمع طولى. "]

شرح الشيخ :

قال رحمه الله " فصل في ذكر أن القرآن اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من كتب الله السالفة " أي المنزلة على الأنبياء قبل نبينا عليه الصلاة والسلام كالتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى والزبور الذي أنزل على داوود والصحف التي أنزلت على إبراهيم وغيرها من الكتب المنزلة **{ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ۖ }** أي على كل رسول.

وهذه الكتب المنزلة جاء فيها الهدى والنور والموعظة، لكن هذا القرآن الذي ختمت به هذه الكتب المنزلة اشتمل على ما لم تشتمل عليه هذه الكتب، وجاء مصدّقا لما بين يديه ومهيمنًا عليها ومشتملا على ما لم تشتمل عليه، وهذا من ما فُضل به نبينا عليه الصلاة والسلام وخُصَّ به، وخصائصه وفضائله كثيرة؛ فُضل على الأنبياء بأمور ومن هذا التفضيلُ العظيم بهذا القرآن العظيم الذي ختم الله به كتبه المنزلة فلا كتاب بعده.

أورد في هذا خمسة أحاديث؛ الأول: حديث واثلة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أعطيت مكان التوراة " أي بدل ما في التوراة " السبعَ الطوال " ولعل الأقرب في ضبطها بكسر الطاء؛ جمع طويلة، والسبع الطوال أولها البقرة وآخرها الانفال مع براءة؛ الأنفال مع براءة عُدّت واحدة، فهذه السبع الطوال. قال " أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال ".

" وأعطيت مكان الانجيل المثاني أو قال المئين " والمئين: كل سورة تزيد على مائة آية، فـ " أعطيت مكان الانجيل " أي بدل ما في الانجيل المئين.

" وأعطيت مكان الزبور المئين أو قال المثاني " والمثاني التي آيُها أقل من مائة.

قال " وفُضلت بالمفصل " وهذا موضع الشاهد؛ أن القرآن اشتمل على ما لم تشتمل عليه الكتب التي قبله، " وفضلت بالمفصل " والمفصل هو اسم للسور القصيرة لأن كل سورة كالفصل من الكلام؛ وأولها الحجرات – وقيل ق – إلى سورة الناس،هذه يقال لها المفصل. والمفصّل أيضا يقسم إلى ثلاث أقسام: طوال المفصل وأوساط المفصل وقصار المفصل. نعم...

[قال رحمه الله تعالى:

" الثاني: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أعلمك سورا ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلهنّ، { قل هو الله أحد } و { قل أعوذ بربّ الفلق } و { قل أعوذ بربّ الناس }، فلا تأتينّ عليك ليلة إلا قرأتهنّ فيها. " رواه أحمد. "]

شرح الشيخ :

هذا الحديث مثل الذي قبله في الدلالة على أن القرآن اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من الكتب المنزلة وهو صريح في هذا.

قال عليه الصلاة والسلام " ألا أُعْلمك " يقول لعقبة بن عامر " سورا ما أنزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلهن ؟ { قل هو الله أحد } و { قل أعوذ برب الفلق } و { قل أعوذ برب الناس } " وهذه السور الثلاث يُقال لها المعوِّذات، ويُطلق على { قل هو الله أحد } المعوذات أو تعدّ من المعوذات تغليبًا، فإذا قيل معوِّذات فالمراد هذه السور الثلاث؛ { قل هو الله أحد } و { قل أعوذ برب الفلق } و { قل أعوذ برب الناس }، فمن شأن هذه السور الثلاث ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم هذا الإخبار عن فضلهن العظيم؛ أن ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور مثلهن، فهذه مما يدل على أن القرآن اشتمل على ما لم تشتمل عليه الكتب التي قبله.

قال " فلا تأتينّ عليك ليلة إلا قرأتهن فيها " وهذا فيه أن هذه السور الثلاث حِرْز للمسلم إذا قرأها فيكون في حفظ الله سبحانه وتعالى ولا يضره شيء، وكان من شأن عقبة رضي الله عنه أنه ما ترك هذه الوصية منذ سمعها من النبي عليه الصلاة والسلام، حتى إنه قال كما جاء في بعض روايات هذا الخبر " فما أتت عليَّ ليلة منذ أمرني

رسول الله صلى الله عليه وسلم بهنّ إلا قرأت بهنّ فيها، وحقٌّ لي أن لا أدعهن وقد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهن ". نعم...

[قال المصنف رحمه الله تعالى:

" وأعْلمك: بسكون العين.

الثالث: عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعطيتُ خواتيم سورة البقرة من كنزٍ تحت العرش لم يُعطهنّ نبيّ قبلي. " رواه أحمد. "]

شرح الشيخ :

وهذا الحديث هو الحديث الثالث في هذا الفصل فيه أن النبي عليه الصلاة والسلام أُعطي خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش أي عرش الرحمن سبحانه وتعالى، والكنز: هو النفائس الثمينة للغاية المدّخَرة، فيقول " أُعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش " أي عرش الرحمن لم يُعطَهن نبي قبلي وهذا موضع الشاهد؛ " لم يُعطهنّ نبيّ قبلي ". فهذا فيه أن القرآن اشتمل على ما لم تشتمل عليه الكتب السابقة.

وهذه الخواتيم لسورة البقرة أيضا جاء الأمر بقراءتها كل ليلة كما في الصحيح " من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه " أي من الشر والأذى وأن يضره شيء، فهو يكون في حفظ الله سبحانه وتعالى، وهذا يدلّ على عظم شأن قراءة هاتين الآيتين العظيمتين اللتين أوتيهما نبينا عليه الصلاة والسلام من كنز تحت العرش ولم يُؤتهما نبي قبله صلوات الله وسلامه عليه.

هذا كله يُفيدنا في الباب؛ وهو الاستغناء بالقرآن، فنَعْتَنِي بـ { قل هو الله أحد } ونَعْتَنِي بالمعوذتين ونعتني بهاتين الآيتين اللتيْن من كنز تحت العرش، نحرص حرصا شديدا على قراءتهما كل ليلة مع التدبر والتأمل في معانيهما والتحقيق لهداياتهما من الإيمان والتوحيد والإخلاص والمناجاة والسؤال والإلحاح على الله سبحانه وتعالى.

نعم...

[قال: " الرابع: عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أنزل الله تعالى في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثل أمِّ القرآن " رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن صحيح."]

شرح الشيخ :

وهذا الحديث الرابع في هذا الفصل؛ حديث أُبَي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما أنزل الله تعالى في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثل أمِّ القرآن " أي الفاتحة، والفاتحة سميت أمّ القرآن لأنها حوت إجمالا ما حواه القرآن تفصيلا، فعلوم القرآن كلها في الفاتحة، الفاتحة أجملت والقرآن فصّل، فهي أم القرآن.

وفي تتمة الحديث في مصادر تخريجه " وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته "، فهذا كله من أوصافها، وأُطلق عليها القرآن لأنها حوت ما حواه القرآن وهذا يبين عظم شأن هذه السورة العظيمة.

والشاهد من الحديث للفصل أنه " ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور مثل أم القرآن " هذا يدل على أن القرآن اشتمل على ما لم تشتمل عليه الكتب التي قبله، فهذا كله أيضا يفيدنا من جهة أخرى على أن تعظم عنايتنا بالقرآن وبهذه السور التي لها فضائل خاصة في مثل الفاتحة و خواتيم سورة البقرة وآية الكرسي و المعوذات ونحوها. نعم...

[أحسن الله إليكم.

قال رحمه الله تعالى:

" الخامس: عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الارض ولم ينزل قط إلا اليوم، فسلّم فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيتَه. " رواه مسلم.

والنقيض بالقاف والضاد المعجمة: صرير الباب إذا فتح.

قال العلماء: وهذا تنبيه من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم على فضل الفاتحة وخواتيم البقرة، أكرم الله هذا الملك أن يُبشر نبيه بهما بعد أن نزل بهما مع جبريل عليه السلام في أوقاتهما، فإن الفاتحة مكية اتفاقا والبقرة مدنية اتفاقا، وتوهم بعض العلماء أن الفاتحة نزلت مرتين. "]

شرح الشيخ :

ثم ختم بهذا الحديث، ختم هذا الفصل بهذا الحديث؛ حديث بن عباس رضي الله عنهما، قال " بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه " يعني سمع صوت من فوقه، يعني من جهة السماء. والنقيض شرحه المصنف بصرير الباب إذا فُتح، فسمع صوت من جهة السماء؛ نقيضا، أي صوت فتح باب، سمع صوت فتح باب، " فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فُتح اليوم ولم يفتح قطُّ إلا اليوم، فنزل منه

ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الارض ولم ينزل قط إلا اليوم " تأمل ! باب من السماء يفتح لأول مرة؛ لم يُفتح قبل هذا، وملك من السماء ينزل لأول مرة، بماذا نزل؟ قال " فسلّم " أي هذا الملك الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم " فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أُعطيتَه. " فهذا الملك الذي ينزل لأول مرة من هذا الباب الذي يفتح لأول مرة نزل بالبشارة بالفضل العظيم لسورة الفاتحة والفضل العظيم لخواتيم سورة البقرة، نزل بالبشارة بالفضل، وإلا النزول بالتلاوة كان قبل ذلك، ولهذا ينبغي أن نعلم أن جبريل نزل أولا بالتلاوة قبل ذلك، نزل بتلاوة الفاتحة ونزل بتلاوة خواتيم سورة البقرة ثم من بعد ذلك نزل الملك بالبشارة بالفضل العظيم، مانزل بالتلاوة، الذي نزل بالتلاوة جبريل، لكن هذا الملك نزل بالبشارة بالفضل كما واضح في الحديث.

وما أشار إليه المصنف بقوله " توهم بعض العلماء أن الفاتحة نزلت مرتين " هذا خطأ أخذًا من هذا الحديث، فهذا الحديث لم يفد أن هذا الملك نزل بالتلاوة، التلاوة نزل بها جبريل قبل ذلك وإنما نزل بالبشارة، ولهذا قال " أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته ".

هنا انتبه أيضا ! الفاتحة فيها دعاء عظيم وخواتيم سورة البقرة فيها دعاء عظيم جدا، يسبق الدعاء في الفاتحة التوحيد والتعظيم لله والإخلاص، ويسبق الدعاء في خواتيم سورة البقرة الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل؛ أصول الإيمان العظيمة، وهذا الدعاء فيهما مستجاب، دعاء مستجاب، ولهذا في الفاتحة قال الله كما في الحديث الصحيح (ولعبدي ما سأل) وفي الأدعية التي في خواتيم سورة البقرة قال الله عز و جل (قد فعلت)؛ استجاب، فهي دعوات مستجابة، " لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته " فهي دعوات مستجابات والأجر فيها عظيم، ولهذا قال المصنف " هذا تنبيه من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم على فضل الفاتحة وخواتيم البقرة، أكرم الله هذا الملك أن يبشر نبيه بهما بعد أن نزل بهما جبريل في أوقاتهما " فجاء هذا الملك يحمل هذه البشارة العظيمة بالفضل العظيم لفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

نسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا وأن يزيدنا علمًا وتوفيقا وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عينن إنه تبارك وتعالى سميع قريب مجيب.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وآله صحبه أجمعين .